

# عرض كتاب: (الأضرار النفسية والاجتماعية للهجرة غير المشروعة)

DOI: 10.12816/0033175

تأليف: أحمد عبد العزيز الأصفر اللحام

عرض: هدى توفيق محمد سليمان

جامعة نايف العربية للعلوم الامنية

اهتمام الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية بظاهرة الهجرة غير الشرعية؛ نظراً لأنها منذ بداية القرن العشرين وهي آخذة في الازدياد؛ نتيجة للعديد من العوامل الذاتية والموضوعية، ولعل ما تبخه الدراسة الراهنة هو ما تنطوي عليه تلك الهجرات غير القانونية من الأضرار النفسية والاجتماعية الناتجة عنها. وكذلك ما يترتب عليها من التزامات قانونية وسياسية إزاء الدول المجاورة لها. واستشعاراً من جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بأهمية قضية الهجرة غير المشروعة والأضرار النفسية والاجتماعية لها أصدرت هذا الإصدار العلمي رقم (٦٠٢) وعنوانه: الأضرار النفسية والاجتماعية للهجرة غير المشروعة، حيث يشكل الكتاب مرجعاً علمياً للمراكز البحثية والدارسين في التخصصات العلمية المختلفة، وخاصة العلوم الاجتماعية والنفسية والأمنية والإستراتيجية، وقد جاء الكتاب في (٢٤٧) صفحة من القطع المتوسط، وينقسم إلى سبعة فصول، إضافة إلى مقدمة الدراسة وخاتمتها وقائمة المراجع.

وعليه توجه الباحث في الفصل الأول إلى عرض أبعاد الدراسة؛ حيث تناول مقدمتها ومشكلتها وأهميتها وأهدافها ومفاهيمها ومصطلحاتها وإطارها المنهجي، واستهدف الكتاب التعرف على العوامل المؤدية إلى الهجرات غير المشروعة من منظور التفاعل بين الشروط الموضوعية والشروط الذاتية والأضرار النفسية والاجتماعية الناتجة عنها. اعتماداً على مفهوم للهجرة غير الشرعية بأنها قدوم الفرد على الهجرة إلى خارج

---

المراسلات الخاصة بهذا البحث توجه إلى أحمد عبد العزيز الأصفر اللحام Hodamohamed973@yahoo.com

حدود دولته الأصلية دون حصوله على الموافقات الرسمية من الجهات المعنية بمغادرته، سواء أكانت هذه الموافقات مرتبطة بالمؤسسات الرسمية في بلده الأم، أم في البلد الذي يستهدفه من حيث النتيجة، أم في البلدان التي يجد نفسه مضطراً لعبورها حتى يصل إلى الدولة المستهدفة.

وتناول الباحث مجموعة من الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع فيما يتعلق بالجانب الاجتماعي والنفسي ورصد المشكلة وانتهى الباحث من عرض تلك الدراسات إلى أن منها ما اكتسب بعداً نفسياً واجتماعياً، وبعضها الآخر اعتمد على التوثيق لرصد مظاهر المشكلة في الوقت الراهن، كما أن هناك دراسات اكتسبت الطابع الأمني على المستويين الإقليمي والدولي لرصد آليات التحدي لتلك الظاهرة.

وحدد الباحث كيفية تتبع موضوعاتها بمنهجية الاستدلال العلمي من خلال الاعتماد على مجموعة من المقالات النظرية المسلم بها منطقياً وقد اعتمدت منهجية الدراسة على طرق تحليلية متعددة تمثلت في مرجعيات التحليل عن طريق الدراسات والتقارير العلمية ذات الصلة بالموضوع الدراسة والتطور التاريخي لقضايا الهجرة.

وجاءت الدراسة في مجموعة من التساؤلات التي تمثلت في حجم الظاهرة على المستوى الدولي، وكذلك دور العوامل الذاتية والموضوعية في إنتاج الظاهرة، والأضرار الناتجة عن شبكات الجريمة المنظمة عامة، وشبكات تهريب البشر خاصة. وتمثلت أهداف الدراسة في الأهداف العلمية للإجابة عن تساؤلات الدراسة، وما يراد الوصول إليه من اقتراحات يمكن أن تشكل مبادئ أساسية للتعامل مع تلك الظاهرة.

أما الفصل الثاني فقد حمل عنوان «مدخل نظري في التفسيرات العلمية والنظرية للهجرات غير المشروعة» وقد طرح في هذا الفصل مجموعة من النظريات النفسية؛ حيث استعرض نظرية الحاجات، وكذلك استعرض نظرية التحليل النفسي وربطها بالهجرة غير المشروعة واستعرض فيها شخصية الإنسان في ضوء تفسير فرويد الذي وضع الأساس الأول لتلك النظرية. وكذلك في ضوء النظريات الأساسية لعلم الاجتماع، وخاصة ما يتعلق بعلم اجتماع الهجرة، واستعرض فيها التغيير الاجتماعي للهجرة من منظور ماكس فير والتفسير المادي التاريخي ونظرية النظام العالمي الجديد.

ولما كان التاريخ عاملاً مهماً في تفسير الظاهرة فقد جاء الفصل الثالث تحت عنوان «ظاهرة الهجرة غير المشروعة وتطورها التاريخي وأشكالها ووسائلها» استعرض الباحث خلاله العوامل التي تؤدي لزيادة الهجرة منها تزايد التطور الاقتصادي والاجتماعي في بعض الدول مثل الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية. وكذلك تأثير الاضطرابات والحروب والفقر والبطالة التي أدت إلى زيادتها لدى الشباب، ما زاد رغبة الشباب في الهجرة. وعن حجم الظاهرة تناول الباحث تقارير منظمة العمل الدولية، وكذلك استعرض الدول التي تمثل مركز استقطاب رئيس للمهاجرين غير الشرعيين في العالم، واستعرض في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية كمركز أساسي للاستقطاب، وخاصة لدول جنوب شرق آسيا. الدول العربية ومنطقة الخليج العربي، وأوضح الاختلاف بين مظاهر الهجرة غير المشروعة في المجتمع العربي في أشكالها وأحجامها عن الدول الأوروبية.

وبالنسبة للفصل الرابع فقد حمل عنوان «العوامل الذاتية والموضوعية والأضرار النفسية والاجتماعية للهجرة غير المشروعة»؛ استعرض الباحث فيه عمليات الدفع الاجتماعي للشباب التي تشكل عاملاً مؤثراً في الهجرة، وتفاعلها مع العوامل الذاتية للفاعلين، ومعاناة المهاجرين؛ نتيجة التنقل والترحال وما يقترن بهما من تحديات صعبة، وكذلك تحليل حوادث الغرق مثل حادث تشرين أول أكتوبر ٢٠١٣م وحادث سبتمبر عام ٢٠١٤م واستعرض الباحث الأبعاد الذاتية والموضوعية في تحليل السير الذاتية للضحايا. والأضرار النفسية والاجتماعية لتجمعات المهاجرين غير المشروعة.

وقد ارتبطت شبكات الجريمة بالمهاجرين غير المشروعة؛ ولذلك خصص الباحث الفصل الخامس لمناقشة «شبكات الجريمة المنظمة والأضرار النفسية والاجتماعية للهجرات غير المشروعة» حيث بدأ الباحث هذا الفصل بتعريف الاتجار بالبشر وما ينطوي عليه من أبعاد اجتماعية ونفسية كثيرة، بالإضافة إلى ما يتضمنه من معانٍ مادية تدل على استثمار أوضاع فئات اجتماعية تعاني صعوبات حياتية لتشكيل شبكات تهريب البشر، وأوضح كيف تقوم شبكات الجريمة المنظمة باستغلال المهاجرين، وفي نهاية الفصل دلت الباحثة على ذلك من الواقع بعرض بعض حالات من تداخل الهجرة غير المشروعة مع جريمة الاتجار بالبشر.

ونظراً لأهمية الجهود الدولية والإقليمية في مكافحة الهجرة غير الشرعية، فقد اهتم الفصل السادس «بتقييم الجهود الدولية والإقليمية في مكافحة الهجرة غير المشروعة» إذ تناول الباحث عرض الجهود المبذولة على جميع المستويات، ثم قام بتقييم الجهود الدولية من خلال عدة معايير، ووصل في النهاية إلى أن تفسير الهجرة غير المشروعة والقضايا المرتبطة من المنظور الاقتصادي استبعد بقوة العوامل الذاتية المتمثلة في مستوى المعرفة لدى العاملين، وخرج بملاحظات أساسية عن العلاقة بين الاستقرار والتنقل كأساس محوري في حياة الإنسان. كما تناول الإجراءات القانونية التي تتخذها الدول، سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو الدولي والاتفاقات الدولية التي تتعرض بشكل خاص للهجرة غير الشرعية، وتحاول الحد من انتشارها، وانتهى إلى أن طرق المعالجة مازالت محدودة للغاية وغير فعالة ودلل على ذلك بمجموعة من الاعتبارات.

وفي النهاية حمل الفصل السابع والأخير عنوان: «نتائج الدراسة واقتراحاتها وتوصياتها العامة»؛ استعرض خلاله الباحث نتائج الدراسة في ضوء الأطر النظرية والتحليلية الأساسية وانتهى الباحث إلى أن ظاهرة الهجرة غير المشروعة قوامها مشكلة ذاتية، وهي مشكلة الاغتراب النفسي والاجتماعي والسياسي. وبالنهاية خلص الباحث إلى عدد من المقترحات، والتوصيات حول تعزيز الدور العربي الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي والديني لمواجهة تحديات الأمن العربي من أضرار الهجرة غير المشروعة حالياً ومستقبلاً.

وإجمالاً تعد هذه الدراسة من الدراسات التي تشكل إضافة علمية مهمة في التخصصات المختلفة وبخاصة العلوم الأمنية والاجتماعية من حيث الموضوع والمنهجية التي استخدمها الباحث، وطرحه للرؤى المختلفة التي تناولت الظاهرة بموضوعية، وهي دراسة تتسم بالجدية والعمق في التحليل والتقييم لمساعدة صناع القرار في مكافحة الظاهرة محل الدراسة.